

الاستراتيجية العسكرية لدى عمرو بن العاص

د. فؤادية أحمد

أستاذ محاضر

يمتاز القادة الناجحون الأفذاذ الذين إرتفعوا إلى قمة المجد العسكري والسياسي بصفات خاصة أصبحت معلومة تدرس وبموجبها ينتخب القادة، ويجري إعداد الضباط والأعوان ليكونوا قادة المستقبل. ومما لاشك فيه عندما نقول بأن رقي المجتمع حيث ما كان مرهون بمدى توفيقه في تنشئة قادة أكفاء في مختلف الميادين القيادية، وعلى عكس هذا، فإن المجتمع الذي لا يؤهل بقيادات صالحة وكفئة، فإنه يكون إذن مجتمعا متخلفا وغير ناضجا من الناحية النفسية والاجتماعية والسياسية وقد تعم فيه الفوضى ويغيب فيه منطق العدالة. لأنه في الواقع يوجد تأثير تبادلي بين المجتمع وقيادته المتباينة في الميادين القيادية العديدة. فالمجتمع هو الذي يفرز قيادته، كما أن هؤلاء القادة هم الذين يقومون بتوجيه المجتمع وتحقيق آماله وأهدافه سواء البعيدة أو القريبة. وقد تظهر دلالات القيادة المتمكنة في تحكم هؤلاء القادة لشؤون القيادة أثناء الأزمات لتخفيف من آلام ورفع من معنويات لهذا المجتمع. ولعلنا لن نخطأ عندما نقول بأن القادة هم الثمار للعمليات السيكولوجية التي تعمل بداخلهم وفي أعماقهم منذ طفولتهم، مع مراعاة البعد الوراثي مثل الفروق الفردية بين الأفراد وهذا ما نكتشفه في كل قائد عندما ينتحي ويتجه وجهة قيادية تتناسبه أكثر من غيرها. وهنا لا بد من الإشارة والاعتراف بالاستعدادات الموروثة والتي تتعلق بنمط الشخصية الذي ينخرط فيه الفرد. فكل إنسان يحمل مجموعة من القدرات تؤدي به إلى كسب المهارات التي إذا أحسن استثمارها، فإنها تقدم له ثمارا والمواهب في حياته ومن بينها ثمرة السلوكية التي نسميها "القيادة". في الواقع أن المجتمع الذي ينشأ فيه القائد والظروف الاجتماعية التي يمر بها، والتي تحيط به فإنه حتما قد يتأثر بها وتؤثر فيه، وهذا ما يؤدي بنا إلى استنتاج بأن هناك بعدين يؤثران في شخصية القائد وسلوكه أحد هذين البعدين هو البعد الوراثي، أي الفطرة التي يولد بها ويحملها في أعماقه هذا من جهة، والوسط الذي نشأ فيه المجتمع بمقوماته ومتغيراته وأحداثه المؤثرة في شخصيته منذ طفولته من جهة أخرى. وهناك أيضا البعد الثالث الذي يمكنه أن يغير سلوك هذا القائد وهو في بعض الأحيان مكتسب وهي الرغبة والإرادة المدعومتان بالعقل أضف إلى هذا تمتع القائد بالحرية تجعله يعمل ويجتهد دوما في تفنيق استعداداته، وفي اتخاذ المواقف المتباينة التي تجعل منه الشخصية القيادية الناجحة. ومن المؤكد أن هناك علاقات تفاعلية فيما بين الموروث والمكتسب من ناحية، ومن بين حرية الإرادة والقدرة على التصرف الحر من ناحية أخرى، فالقائد هو نتيجة مجموعة من أعمال والتفاعلات وسلوكات ناجحة، أما القيادة هي ثمرة التي تأتي أو تولد عن تلك العلاقات التفاعلية النفسية كانت أو الاجتماعية، ومن هذا

المنطلق نجد أن هدف إنعكاسات البعد الثقافي التاريخي على القيادة من المنظور النفسي الاجتماعي السياسي هو إحداث تغيير فكري وثقافي المنبثق من أصولنا وحضارتنا الإسلامية في حياة هذا القائد، حتى يتمكن من التكيف مع المحيط المهني القيادي الذي ينشط فيه. وأن يتميز بالأداء الجيد لمهمته وعلى الوجه الأمثل والأكثر ودوية بالمؤسسات العسكرية والتعليمية التي تعتبر إمتداد للمجتمع الجزائري الذي له خصائصه الثقافية والدينية والخلقية والقومية، مع إبراز ضرورة إدخال الكفايات القيادية عالية البصيرة العلمية مع الإرشاد نفعي للأتباع إلى الميول المهني نحو العمل الأكثر نجاعة.

مما لا جدال فيه أن هناك دراسات عديدة في مجال القيادة. غير أن الإشكالية التي يعاني منها المجتمع الجزائري تحتاج إلى تمعن وتأمل في ضوء المقومات الوطنية التي تنطلق من ثوابت الأمة لاسيما المتجذرة في التراث العربي الإسلامي. الشيء الذي يمكن اعتباره منعما في الدراسات المتعلقة بميدان ظاهرة القيادة. وهدفنا لهذا الطرح الفكري من خلال تحديد هذه الإشكالية يتوقف على إبراز القيم والاتجاهات التي تسيطر على سلوك القائد الجزائري من خلال البعد الثقافي والتاريخي. والأهم من هذا الطرح يكمن في التمايز القائم فيما بين مجتمع القائد الجزائري ونظيره القائد العربي الإسلامي. حيث هناك منطق يسود على فكر القائد الجزائري هو نتاج لعقلية ثقافة العربية الإسلامية الامازيغية المتمثلة في شخصية القائد عمرو بن العاص، وطارق بن زياد لتشكّل إحتكاك الثقافة العربية الإسلامية. ولقد سيطر على خيالنا ذلك الضرب من القيادات التي تتخطى أسوار الحياة. ذلك القائد الخارق الذي يبرز معاصريه بشهرة شخصيته غير العادية، ويمارس القيادة بأسلوب القدرة والتمكن وبشكل الفخامة والعظمة، هؤلاء القادة الناجحون الأفاضال الذين ارتفعوا إلى قمة المجد القيادي كانوا يتصفون بصفات خاصة، أصبحت اليوم معارف في بعدها التاريخي في ميدان علم الآثار لتعلم من المهارات القيادية التي إمتاز بها أجدادنا، حتى نتمكن من إعداد قادة المستقبل ليكونوا خير خلف لخير سلف. وفي هذا السياق نذكر ما قاله الجنرال الألماني (فون درغولتس) وهو من أشهر القادة الحرب العالمية الأولى عن ميزات والصفات السابقة الذكر بقوله "أهم مميزات القائد أن يكون له دماغ مبدع. يجب أن تكون له المبادرة يعمل ما لا يتوقعه العدو، وينتهي له فيحطم سلاحه المعنوي وأن يفكر دوما في أمور المستقبل، وأن يتعرض لمعنويات عدوه بإدراك السبق في العمل فيجعله في حيرة من أمره". ومما لا ريب فيه أنه لا يوجد فن يفوق فن القيادة لأن مادتها مخلوقات إنسانية تخضع لتأثيرات عديدة ومتنوعة كالخوف والتعب والجوع والتهور والمرض، وكل ما يؤثر في نفس البشرية بالإضافة على أن مادة ووسائط الحرب قد أصبحت باهضة الثمن. والفشل في القيادة يعني تدمير الاقتصاد الوطني أو إرباكه والذي يؤدي في نفس الوقت إلى الفوضى العارمة التي تعود بالانعكاسات سلبية على المواطن والمجتمع في جميع الميادين. ولا تنحصر إشكاليتنا في أمور مجهولة وأسباب أخرى فقط. بل هناك خصما يسعى جاهدا باستمرار وبكل ما أتى من القوة وحيلة لإحباط الخطة والعمل وإخفاقها، ولا يتعلق بعمل القائد مصير ملايين الأتباع من المجتمع الذين يقودهم فحسب، وإنما

مصلحة وكيان الوطن أيضا، أما القائد الناجح هو الذي يصنع معجزة القيادة الهادفة والفاعلة وهي العامل الحاسم في نيل الظفر، حيث كان لمجرد حضور عنتر بن شداد في المعركة يعطي انعكاس إيجابي معنويا للمقاتلين العرب. وكان فقط حضور (نابليون بونابرت) في ساحات المعارك تزداد القوة المعنوية ورباطة جأش الجيوش المقاتلة الفرنسية بما يقابل خمسين ألف مقاتل إضافي وقد قال نابليون في ذلك " ليس الرجال، إنما الرجل الواحد هو الذي يتوقف عليه نجاح الجيش"... والقائد هو دماغ الجيش وليست الجيوش الرومانية هي التي قهرت الغال إنما قيصر، ولم ترتجف روما فرعا أمام الجنود القرطاجيين إنما ارتجفت أمام هنيبال... ولم تكن الجيوش المكدونية هي التي اقتحمت الهند وإنما الاسكندر... هذه هي سمات وصفات القائد المحنك والناجح وانعكاسات لأعماله تدل على ذلك من خلال الوقائع التاريخية. وكانت هذه الصفات والميزات لا تزال تخلق القادة الأبطال، فهي رفعت القادة العرب المشهورين أمثال عمرو بن العاص، وخالد بن الوليد وقتيبة بن مسلم وطارق بن زياد وصلاح الدين الأيوبي إلى قمة المجد القيادي، إنهم حقا قادة يشار لهم بالتمكن والقدرة.

من الصعب في الواقع إيجاد قيادة مناسبة متفاعلة تؤدي عملها بفاعلية. بل أحيانا الأمر يبدو معقدا إلى درجة لا تكاد تصدق، ولكن على الرغم من التعقيدات فإن قيادة موزعة في حقيقة الأمر مزدهرة، لكن تبقى البلاد تعاني من مشكلات حادة. ونتساءل: هل هذا راجع إلى نوعية الأسلوب المستعمل في القيادة؟ أو إلى تكوين القائد في حد ذاته بأبعاده المختلفة لا سيما أننا لم نغير الإهتمام بصفات القيادة الناجحة في آثار تاريخنا ولدى أجدادنا؟

إن الحسرة على نوعية الأداء القيادي في ماضيها الذي خلفه الإستعمار الفرنسي بأبعاده الضاربة بجذورها في عمق الثقافي للمجتمع الجزائري، إنما نستطيع أن نكون أحسن مما نحن الآن وإنما ساعون فعلا إلى ما هو أفضل، من خلال تكوين قادتنا علميا وخاصة في المجال العسكري الذي هو امتداد للمجتمع الجزائري وفق لعملية الاختيار العناصر المناسبة للقيادة وتوجيههم وفق معايير علمية وتكوينية حديثة لتحقيق الأفضل، تلك المعايير المستنبطة من آثار أصالتنا وثقافتنا وتاريخنا وحضارتنا الإسلامية أمثالا راقية من الطراز القيادي الرفيع المتمثل في شخصية عمرو بن العاص.

1. القيادة الناجحة:

مما لا شك فيه أن القائد بأي معنى من المعاني التي تطرقنا لها، وفي أي نوع من أنواع القيادة التي ذكرناها، فإنه يمتص روح الجماعة التي يقودها، مع احتفاظه بهويته وقوامه الذاتي فكراو عاطفة وإرادة. لأن الدور الأعظم للقائد هو بلورة الرؤية والأهداف السامية البعيدة كما سلفنا في تعريف القيادة بأنها عملية تحريك الناس نحو الهدف.

و القائد الناجح هو الإنسان المبدع والمبتزم والمنتج والخلق، يحمل كفاءة ويعمل دوما على تحديثها وفق متطلبات العصر، ومن خصائل هذا القائد الناجح أيضا أنه يتقانى في أدائه وإتقان عمله، وكما أنه يبقى دائما حريصا على الاقتراب من أفراد الجماعة أو بما يسمى الأتباع ليتعرف على مشكلاتهم ويجتهد في مساعدتهم في إيجاد الحلول الناجحة وتقديم ما يمكن تقديمه لهم. وهذا يقع في ظل عميق للقيادة الناجحة الحديثة وتفهم لسلوكيات من يقودهم... لأن الصراع قد يكون قائما بين الإنتاج والعلاقات الإنسانية في محيط العمل، والقائد الناجح يعرف كيف يقود الصراع بين الجانبين ليضع مصلحة العمل أولا، وإرضاء الأتباع الذين يقودهم أيضا، إذ أن التوازن بين الاثنین مطلوب، وهذا يتوقف على حنكة القائد وكفاءته ومقدرته على أداء المهمة الموكلة إليه.

وإضافة إلى هذا يجب أن يكون هذا القائد قادر على التعامل بشكل فعال مع الأزمات العديدة والمتنوعة، وكيف تكون الحكمة في تعامل والتصرف من أجل الخروج من شبك الأزمة مهما كان حجمها. وما أحوجنا نحن العرب والمسلمين إلى هذا النوع من القيادة الناجحة المستتبطة من الإيمان بالهدف، في السياق التكوين والتعليم والتدريب على كافة المستويات المتجدرة في نماذج قيادية لماضيها ولتاريخنا ولحضارتنا، خاصة بعد أحداث الحادي عشر سبتمبر من سنة ألفين وواحد، لأننا ملزمون لتعامل مع هذه الأزمة والتفحص للنتائج المترتبة عليها في شتى الميادين، لاسيما كيف تم التعامل القيادي مع موضوع المعلومة؟ كيف تم اختبار واختيار الأنسب والأجبع منها؟ كيف تمت دراسة الفروض والبدائل؟

إذا نحن بحاجة ماسة إلى القائد الناجح الذي يمتاز بثقة في النفس ويحمل قدرات الذكاء ومهارات العالية مع تمتعه بالخبرة والموهبة التي يستطيع بها أن يقود نحو تحقيق النتائج ملموسة ونجاحات ثابتة. إذا لا بد في التفكير ولوصول إلى تجسيد كيف نصنع قائدا أمثال عمرو بن العاص، و طارق بن زياد، صلاح الدين الأيوبي، الأمير عبد القادر. وأخيرا كيف نصل إلى القيادة التي تحقق النتائج والنجاح والتي تعود بالنجاح على الأمة.

2. صفات القيادة البارزة لدى عمرو بن العاص:

اخترت هذا القائد لأنه عربي منا نفهم نفسيته جيدا، ويتصف بكل الصفات القيادية المثالية شارك في وقائع شملت معظم الوطن العربي. واخترته لحاجة في نفس يعقوب، لأبين وأظهر كيف كانوا أجدادنا وكيف هو حالنا اليوم، فتصح المقارنة ويسهل المقياس في وقت نحن أحوج ما نكون فيه إلى المقارنة والمقياس. إنه لم يكن قائدا عسكريا فحسب وإنما كان سياسيا ماهرا من الطراز الأول، علاوة على كونه مثقفا راقيا وشاعرا أديبا وخطيبا فصيح اللسان. وكما اخترته لنتغنى به اليوم وليكون كمرجعية أساسية في ضوء النظام الغربي الدولي الجديد المفروض علينا بالهيمنة والسيطرة. ان ممارسته التجارة مع أبيه وكثرة

أسفاره قد أكسبته فوائد كثير في الاطلاع على أحوال البلدان وشعوبها ومناخها ومسالكها وعوارضها مما كان له التأثير الأكبر في تثقيف عقله وسمو مداركه.

نلتمس في هذه النقطة بالذات أنها تعتبر بمثابة تكوين وتعليم في الميدان، وكما قال أحد الفرنسيين "أن كثرة من السفر تجلب كثرة من المعارف العلمية والتجريبية وهو بمثابة التدريب على التحمل المسؤولة" وهي عملية تتم فيها صقل لمهارات القيادة واكتساب الخبرة التقنية والفنية في نفس الوقت.

كان عمرو بن العاص "رحمه الله" من أدهى دهاة العرب، ومن أبطالهم، من ذوي الرأي فيهم وأنه قد أتى من الشجاعة والإقدام وحسن البلاء وكذا العلم والمعرفة والحزم والحكمة والوفاء وثبات العزيمة وغير ذلك من جليل الصفات. مالم يجتمع مثلها إلا في القليل النادر من مشاهير الرجال، وقد انعكست هذه الصفات على صحيفة فكره، فكان العربي المثقف الواسع الاطلاع التي جعلته ينتخب ميدان في اليرموك ومعرفته بطبيعة الأرض هي التي جعلته يحتل موضعا خلف الروم في اليرموك ويقطع عليهم طريق انسحابهم. وسعته في الاطلاع هي التي جعلته يقترح على "الخليفة عمر بن الخطاب" ويلج في تحرير مصر¹.

لهذا كان هذا القائد فريد في عصره، نابغة بين قومه ونابا من أنياب العرب وليثا من ليوثهم ودعامة من أقوى دعائمهم وصادق العزيمة، قوي الحجة، فهو القائد كفاء للقيام بعظام الأمور وأهل ليكون في أعلى المراتب القيادة. ولعلي لا أجانب الصواب إذا قلت أن تاريخ العرب لم يرى مثل "عمرو بن العاص" قائدا. لقد كان من أبرع القادة العسكريين العرب عبر التاريخ في عهد الرسول "صلى الله عليه وسلم" بالرغم من تأخره في الإسلام.

وما أرسله الرسول "عليه الصلاة والسلام" إلا لرد هيبة المسلمين بعد هزيمتهم. ونفهم من إختيار عمرو بن العاص لهذا الواجب لأكبر دليل على أنه أبرع القادة المسلمين في نظر الرسول "صلى الله عليه وسلم". لقد أعجب الرسول "صلى الله عليه وسلم" بالقائد الخارق للعادة عمرو بن العاص أيما إعجاب. وإلما لماذا لم يرسل لهذا الأمر الخطير غيره كخالد بن وليد مثلا؟ ومن آيات براعته العسكرية انتصاره على الرومان رغم قلة عدد جيوشه، وبادر هو بقتل وبيده القائد الروماني. لقد كانت له كفاءة الفذة وشجاعة ودراية في الحروب وأصالة في الرأي.

3. تحمل القائد للمسؤولية:

¹- الفريق الأول الركن صالح مهدي عماش، القيادة الناجحة، ومثل دراسات تاريخية عسكرية، ص. 18.

ولعل عمرو بن العاص أكثر القادة تحملاً للمسؤولية، ولقد أصر على تحمله للمسؤولية ولم يقبل إعطاء القيادة إلى أبي عبيدة وقال له إنما جئت لي مدداً. وإن فتحه لمصر ليدل أكبر الدلالة على تحمله للمسؤولية فقد ألحَّ على فتحها بينما كان الخليفة عمر رضي الله عنه لا يرى هذا الرأي ويتهيب فتح مصر.

وكتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص يقول فيه: "إن جاءك كتابي ولم تدخل مصر فأرجع وإن دخلتها فأستمر بالتقدم".

ويقال أن الكتاب الخليفة وصله وهو لم يدخل مصر بعد. فلما دخلها قال عمرو ابن العاص: "يا قوم استمعوا إن الخليفة يأمرني بفتح مصر إن دخلتها وها أنتم تروني داخل مصر". فأستمر في تقدمه².

4. الصفات العقلية للقائد:

هناك عدة الصفات العقلية يحملها هذا القائد العربي العظيم ومن بينها مايلي:

* أصالة الرأي: وقد اشتهر هذا البطل القائد بسداد الرأي في الجاهلية والإسلام لا ريب فهو قد نشأ وترعرع في بيت معروف في مكة التي كانت مركز الحركة التجارية والأدبية. وكان العرب فيها يتناشون الأشعار ويتناقلون الأدب والحكمة فتغرس هذه المظاهر الاجتماعية والأدبية في نفوس أطفالها والمواهب النادرة والقرائح الوقادة والسجايا الكريمة والخصال السامية والعادات الحميدة، فتدفع بهم إلى الأعمال الجليلة والغايات السامية. وقد كان عمرو بن العاص أحد هؤلاء الأفاضل من ذوي الرأي السديد ولعله كان أكثرهم سداداً.

ولهذا كان هذا القائد المبعوث الوحيد الناجح إذ تمكن من إقناع ملكي عمان "جيفر وعباد" فأسلما بينما لم ينجح رسل أو المبعوثين "الرسول الله صلى عليه وسلم" الآخرون في إقناع كسرى وقيصر و النجاشي والمقوقس وغيرهم.

والحقيقة الأخرى نجدها في اعتماد عليه كل من أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب ومعوية بن أبي سفيان في كثير من الشؤون الحرب لتحرير العرب وعظام الأمور. ونتيجة أعماله القيادية الناجحة، أقره الخليفة أبو بكر الصديق كقائد العام للقوات المسلحة على أصالة رأيه السديد وكتب إلى قواد أن يتبعوا نصيحة قائدهم عمرو بن العاص.

* القائد والإبداع: يعتبر عمرو بن العاص من أكثر القادة العرب إبداعاً. فقد كان مبدعاً خداعاً في شؤون الحربية طغت شهرته وعمت الآفاق وأصبحت حيلته وخداعه وإبداعه مضرباً للأمثال وقد سارت

²- المرجع السابق، ص. 22.

بها الركبان. فقد سعى إلى الحيلة لدى النجاشي. وكان أكثر دهاء وإبداعاً وبالمرصاد لداهية الروم صاحب الحيلة والإبداع (الارطوبون). وقد أبدع داهيتنا في ذهابه بنفسه إلى قائد الروم وحاوره وسمع كلامه واستطلع على مواقع الروم والأسوار وقوتهم، ثم أبدع في تخلصه ونجاته، وتلك الأمور لا تنتظر من قائد من قادة زمانه من العرب أو غيرهم سواه. ومن آيات إبداعه أيضاً إشارته على الجيش معاوية بن أبي سفيان برفع المصاحف على رؤوس الرماح في واقعة صفين وكان ذلك الإبداع الخطير الذي قلب به الموقف رأساً على عقب وأوقع في جيش الإمام علي الفتنة والانشقاق والتمرد بعد أن أوشك جيش الإمام علي على إبادة جيش معاوية بن أبي سفيان³.

ولم يكن عمرو بن العاص من المبدعين في المجال العسكري فحسب وإنما كان قائد العربي الوحيد الذي اشتهر بأعماله التنظيمية وإبداعه في تدبير أمور القطر المصري. فقد نظم الري على أحسن حال وشق الترع لأغراض الري والمواصلات وقام بإحصاء السكان والأموال ووضع مقاييس في نهر النيل. حيث قام بأهم وأخطر عمل إنمائي واقتصادي وتنظيمي ألا وهو شق التربة التي توصل النيل بالبحر الأحمر وبذلك أوصل البحر الأبيض المتوسط بالبحر الأحمر وهي فكرة قناة السويس نفسها فيما بعد. وفي هذا السياق يقول عبد الحميد الهاشمي في موضوع القيادة الناجحة " قد ينال هذا الفرد صفة القيادة بما لديه من قوة تأثير في الأفراد بفضل حزم إرادته أو نمو معلوماته وخبرته أو بقوة مشاعره أو نفاذ بصيرته أو كل هذا في آن واحد، ويضيف أن القيادة تلقائية وعفوية تفرض نفسها بما لديها من قوة التأثير والجاذبية على الأفراد التابعين⁴. حيث نجد أن القائد في موقع المؤثر بغيره من الأفراد التابعين يملك صفة التجاوب المتفاعل الإيجابي بين راعيه والأتباع. ويضيف بأن القيادة تستمد سلطتها من جماعتها بطريق تلقائي وإختياري عن رضا وبقناعة.

وقد كانت القيادة الناجحة لدى عمر بن العاص مؤثرة في أتباعه ومحققة للنتائج الجيدة، حيث نجد تطابق في هذا الرأي لدى الدكتور طارق محمد السويدان مع الأستاذ فيصل عمر باشراحيل حينما قالوا أن القيادة "هي تلك العملية التي يكون في مقدمتها القائد وذلك ليكون دليلاً لجماعته على الخير، ومرشداً لهم إلى ما فيه صلاحهم. فرب الأسرة هو المسؤول عن أولاده وتوجيههم ليكونوا صالحين. ورئيس المؤسسة هو المسؤول عن تسيير شؤونها لنجاحها. والمعلم مسؤول عن طلابه، فإن كان غير ذلك أحجم عن تأييده المخلصون وإستمر حوله المنتفعون، لأنه ما من عاقل يرضى أن يقوده رئيسه إلى الضياع والفشل، إلا إذا كان مخدوعاً أو منتفعاً، وعندها يحق لنا أن نسمي الرئيس سائقاً لا قائداً⁵.

³- نفس المرجع، ص. 23.

⁴- الهاشمي، عبد الحميد، المرشد في علم النفس الاجتماعي، 1984، ص. 120.

⁵- طارق محمد السويدان؛ فيصل عمر باشراحيل، صناعة القائد، ص. 40.

***سرعة القرار:** قد امتاز البطل القائد عمرو بن العاص بالبدئية بشكل لم يسبق له مثيل فقد أحصى العرب دهاتهم فعدوا أربعة هو منهم، وجعلوا لكل واحد منهم حيلة يمتاز بها في دهائه. فقالوا "ان معاوية للروية وعمرو ابن العاص للبدئية والمغيرة بن شعبة للمعضلات وزيادة بن أبي سفيان لكل صغيرة وكبيرة. وأن البدئية تترتب عليه سرعة القرار، وأن رجلا عبقريا وقائدا شهيرا خاض المعارك وقاد الجيوش إلى النصر وكان حاضر البدئية لابد أن يكون سريع القرار أكثر من غيره من القادة الذين لم يتصفوا بحضور البدئية. من أهم الأدلة على سرعة قراره ما فعله عند فتح مصر، وعندما اصطدم بحصن بابليون حاصره ولكنه اتخذ فجأة قرارا سريعا بالزحف على الصعيد ومنطقة الفيوم⁶. فالقيادة الناجحة كما يراها زين العابدين درويش تتطلب سرعة في أخذ القرار من خلال العملية التي يقوم فيها فرد من أفراد جماعة منظمة بتوجيه سلوك الأفراد الآخرين لدفعهم برغبة صادقة نحو تحقيق هدف مشترك بينهم⁷.



حصن بابليون.

ويمكننا القول من خلال ما توصلنا إليه في هذه الدراسة أن جميع خطته في فتح مصر اعتمدت على المباغتة وسرعة القرار وكان يدفع بأعدائهم إلى تبديل خططهم وتحويل معسكراتهم، ذلك لأن لعمرو ابن العاص حركة مفاجئة لا يعرفون ما يعقبها. ومن ناحية أخرى يمكننا أن نقول بأن قيادة الجيش لا بد من القائد أن يمتاز باتخاذ القرارات وبسرعة كما يرى محمد علاوي (1992م-1997م) بأنها⁸: "هي العملية سريعة القرارات التي يقوم فيها فرد من أفراد الجماعة منظمة بتوجيه سلوك أفرادها لدفعهم برغبة صادقة نحو تحقيق هدف مشترك بينهم". أما في رأي السيد عبد العالي "أن القائد هو ذلك الشخص الذي ينبع من الجماعة وهو يملك القوة المؤثرة على أفكارها ومشاعرها ويستطيع أن يلعب دورا إيجابيا وسريعا في إتخاذ القرارات وفي حركة الجماعة وإقناعها بالطرق الملائمة لتحقيق مصالحهم وأهدافهم على شرط أن يكون تابعا من الجماعة واختيارها المحض وليس مفروضا عليها".

⁶- نفس المرجع، ص. 26.

⁷- زين العابدين درويش، علم النفس الاجتماعي، أسسه وتطبيقاته، مطابع زمزم، ط. 1، بيروت، 1993.

⁸- محمد حسن علاوي، سيكولوجية القيادة، 1998، ص. 15.

5. **الصفات المعنوية للقائد:** إن القائد مهما كان فإنه يمتاز بالصفات معينة تساعده على الأداء القيادي. وهذا ما نجده في فكر لويس جيرستنير - Louis GERSTNER عندما قال "يكون لقائد رؤية قوية، فإنه يعمل جيدا في الكشف عن أفكار تتعلق بكيفية تنفيذ تلك الرؤية، أو لتوليد أفكار مبتكرة لتنفيذها"⁹، وفي نفس الوقت تؤهله ليكون أيضا كمرجعية يقتدى بها لدى الأتباع ومن هذه الصفات التي امتاز بها عمرو ابن العاص هي:

***الشجاعة:** كان عمرو بن العاص شجاعا ومثالا حيا للشجعان، فهو شجاع في الجاهلية حيث طالت به الأسفار، ثم ازدادت شجاعته بالإيمان. وقد تسابق مع خالد بن الوليد لأخذ الراية في اليرموك فغلب عمرو خالدا وكاد يقتل لشدة إقدامه وشجاعته فقد ذكر البطريق "أوتيوخوس" عن فتح الإسكندرية ان شجاعة العرب في القتال وفي كل هذه الحملات كنت ترى سيف عمرو ولواؤه يتلألأ في مقدمة المسلمين.

وكانت تتمثل شجاعة عمرو بن العاص لما ألقى بنفسه عدة مرات في مواقف محرجة عندما كان يدخل على الأعداء بصفته أحد مبعوثي عمرو وقد أظهر في فتح مصر من ضروب الشجاعة ما يحير العقول. كان عمرو مقداما لا يهب الحروب وأظنه كان مؤمنا بالقضاء والقدر الذي أعطاه القوة والبصيرة.

فيعتبر عمرو القائد العسكري والسياسي من أروع آيات الشجاعة. فهو القائد العام ولكنه يقتحم الصفوف ويقاوم مع القطعات الأمامية، وينسحب جيشه ويبقى هو يقاوم مع المؤخرة ويحاول مبارزة أعدائه بنفسه. فأية الجرأة وآية الشجاعة أعظم وأي دليل أقوى من ذلك وأظهر من ذلك.

ويرى مؤلف الكتاب فن القيادة المرتكزة على المنظور النفسي الاجتماعي والثقافي¹⁰ أن الشجاعة القيادية ضرورية لدى القائد، ويجب عليه أن يتحلى بها مهما كان وأن يعلم أتباعه على فنونها. لأن الشجاعة هي نصف قوة القائد الناجح الذي يكون مقدام لا يخف من العدو ويوهم نفسه أنه سينجح لو قام بإتقان في الأداء القيادي.

وكما يقول المؤلف في نفس المرجع أن "القائد الذي يؤجل القرارات الحاسمة أملا في الحصول على استراتيجية جماعية قد يكون عرضة لمخاطر العصبية الشديدة وستتمثل التكلفة في الارتباك والتشويش وفقدان الاتجاه، مع تأجيلات متواصلة وتفاقم النزاعات".

*** قوة الشخصية:** روي عن عمرو بن العاص أنه قال: "ما عدل بي رسول الله" صلى عليه وسلم" وبخالد بن الوليد أحدا من أصحابه في حربه منذ أسلمت". وقد ولاه حملة ذات السلاسل وكان بين رجاله

⁹ - GERSTNER, L., on the 1993 IBM turn around, Quoted in Steve Iohr I.B.M chief recalls difficult pays at big blue, the New York times, C. 3, 2000.

¹⁰ - قوراية، أحمد، فن القيادة المرتكزة على المنظور النفسي الاجتماعي والثقافي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،

أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة عامر بن الجراح فأية قوة الشخصية التي تسيطر على هؤلاء العظماء.

لقد أسلم سنة ثمان للهجرة، فعندما رأى عمرا قال الرسول الله "صلى الله عليه وسلم": أَلتت إليكم مكة أفلاذ كبدها" فتصور قوة شخصيته ومن الأدلة الأخرى على قوة شخصيته ما ظهر في فرحة نبينا الكريم بإسلام عمرو بن العاص حيث أصبح مطمئنا على الدين وقوته وما وصل إليه من التوسع فقال: "أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص". ومما يدل على قوة شخصيته رفضه لأسلوب الخليفة عمر في محاسبته على أمواله.

وكان من قوة الشخصية بدرجة أن عمر بن الخطاب كان يقول عنه: "ما ينبغي لأبي عبد الله أن يمشي على الأرض إلا أميرا" أو حاكما أو قائدا. وكانت لعمر بن العاص من قوة الشخصية ما أعجبت عمر بن الخطاب وسيطر على القطرين المصري والليبي. وقد سيطر بقوة شخصيته على جيشه فكانت أفواجه وكتائبه أطوع إليه من بنانه.

* **الثقة بالنفس:** كان القائد عمرو شديد الثقة بنفسه ومقدرته على القيادة ولم يستطع أن يكتم ذلك حتى قال: "ما عدل بي رسول الله...". وفي حملة ذات السلاسل أصر على تحمل المسؤولية لشدة ثقته بنفسه ومقدرته، على القيادة ومن شدة ثقته هذه أنه طالب بالقيادة العامة للجيش العربية قبل حركتها إلى الشام. وقد بلغ من هذه الثقة عن ما رواه الحسن البصري حيث قيل لعمر بن العاص: "قد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحبك وقد استعملك قال عمرو، بلى فوالله ما أدري أحبا كان لي منه أو استعانة بي".

وقد كتب إليه أبو بكر رسالة يخيره فيها بين ولاية اليمن وبين قيادة الجيوش فأجابه عمرو "إني سهم من سهام الإسلام وأنت بعد الله الرامي بها والجامع لها. فأنظر أشدها وأخشاه وأفضلها، فأرم به شيئا جاءك من ناحية من النواحي". وفي هذا السياق يضيف "دانيال قولمان".¹¹ Daniel GOLEMAN ينبغي أن يكون القائد منفتحاً على كل شيء على الأخبار سيئة والأخبار الجيدة على حد سواء" وأضاف مورجن قائلاً: "عليك أن تهتم بأشياء واقعية حادة القسوة، ولكن إذا ما عقبك واحد منهم لقوله في الحقيقة المرة، فإنهم سيمتتون عن التحدث مرة أخرى، على أن تبقى على الأمور آمنة لكل شخص حتى يعبر عن رأيه بصراحة دون خوف لا توجد مشكلة لا نستطيع حلها إذا كنا غير متحفظين بشأنها...".

* **الثبات والتوازن:** وكانت هذه الصفة الهامة من الصفات عمرو بن العاص وأجلها إذا أنها صفة ملازمة للدهاء والعبقرية، وحضور البديهة واستخدام العقل وسعة الحيلة، وقد تمكن ابن العاص من

¹¹ GOLEMAN, D., Emotional Intelligence, a theory of performance, in the Emotionally intelligent workplace, -

New York, Bantam, 1998.

المحافظة على هدوئه ورباطة جأشه وعلى حالته الاعتيادية والثبات والتوازن أثناء الملمات وحين تشتد الحاجة إلى تحكيم الحكمة في تسيير الأمور .

فقد احتفظ بشكل واضح جدا بقبليته على العمل والتفكير في الظروف غير اعتيادية في وقت كانت معييته وهيئة ركنه ومرؤوسه يفقدون زمام الأمور والتفكير، كان حازما في عمله عندما يصيب الخوف رجاله ويشل تفكيرهم وهو بذلك قد امتلكا شاجيتي القائد الحيويتين وهما :

1- إعطاء القرار أثناء العمل وبسرعة.

2- رباطة الجأش أثناء الملمات والحاجة.

لقد أظهر ابن العاص عندما كانت جيوش إمبراطور الروم "هرقل" وعظمتها وفي وقت اختلط الرأي على القادة العرب، بينما ظل ابن العاص هادئ التفكير فأشار بوجود الانسحاب من المناطق المحررة أي من سورية والتجمع جنوبا وقبول المعركة في الميدان اليرموك.

ونرى أن ابن العاص وهبه الله صفات خارقة للعادة من الفن القيادي بإستراتيجيات العالية وجعل نفسه في خدمة الإسلام وأين كان يجب عليه أن يكون فهو قابل وراض. ونستطيع القول أنه قائدا موهوبا ومتمكنا، والأعجب من ذلك أنه يبدع إبداعا ويتفنن ويتفقت ذهنه عن ابتكارات وحيل أثناء ضيق الساعة أو في حالة الظروف القاسية والحرجة بعكس الآخرين تماما.

والبعض من المفكرين يرى أن القيادة هي فكرة العقلانية في التخطيط ووضع الاستراتيجيات وحسن التوجيه، وأن كل شئ يتوقف على الأخلاق والقيم وذكاء الأفراد الذين يشرفون على التسيير والذين بيدهم القيادة واتخاذ القرارات النهائية. ومن أنصار هذا المعنى المفكران "س. نبيير وم. لوي قولدمان"¹² ولكن في اعتقادنا، وخاصة مع التقدم السريع والمذهل في التكنولوجيا وما تحمله من فنيات العالية والتخطيط البار لا سيما في حسن إستغلال المعلومات. نحن نتساءل عن كيفية خلق الجو المناسب للعمل ووضوح الأهداف المنشودة بالنسبة للقيادة التي تحمل استراتيجيات من جهة، أو وضع برامج لهؤلاء القادة الذين يضعون هذه استراتيجيات أو حتى لأتباع الذين تسند إليهم مهمة التنفيذ من جهة أخرى. نجد ربما الإجابة عن هذا التساؤل لدى هيربرت سايمون الذي يعتبر أحد المفكرين في هذا المجال فهو يرى: "أن القيادة وبالمعنى أين يكون فيها القادة الذين يستعملون ذكائهم ويجيدون فن توجيه الآخرين والتأثير فيهم ويعرفون أنواع التكنولوجيا التي تستعمل لتحقيق الأهداف المنشودة، هم الذين يمكن أن يعول عليهم الفرد لإيجاد حلول للمشاكل بمهارة ومقدرة الفائقة. نستنتج مما سبق قوله أن القيادة هي فن المعرفة الصحيحة لما ينبغي أن يوضع كهدف، ثم إقناع الأتباع والتأثير فيهم بحيث يحققون الأهداف المرسومة بأحسن الطرق العلمية المتوفرة في وقت التنفيذ والإنجاز. مع العلم ان هذا المفهوم أو المعنى للقيادة مرتبط بتصرفات

NAIR, S. ; LOWY GOLDMAN, M., Paris seghers, 1973, pp. 27,28. -¹²

الناس وبقيمهم الاجتماعية ورغبتهم في التعاون والعمل لتحقيق المصلحة العامة وتفضيلها أو ترجيحها على المصلحة الخاصة.

*الإخلاص: إن الإخلاص للواجب هو الدافع الروحي والمحرك الذي يدفع القائد نحو النصر وقد كان ابن العاص مثالا للعربي المخلص والوافي لوطنه وقادته وكان في نفس الوقت الرؤوف بجنوده.

لقد أخلص في تجارته وأخلص في سفارته وأخلص في قيادته، فلقد كان القائد الذي يعتمد عليه أيام الرسول "صلى الله عليه وسلم" وأيام الخليفة أبي بكر وبعده الخليفة عمر بن الخطاب، وقد رفض أن يرهق المصريين بالضرائب والرسوم كما كان يريد الخليفة الثالث عثمان بن عفان فأختلف معه ومما أدى إلى عزله عن ولاية مصر، وأصر عمرو على صحة رأيه وإخلاقه حتى أن عثمان بن عفان عندما قال له: "إن اللقاح بمصر بعدك قد درت ألبانها". والمقصود من قول الخليفة أن الجباية قد زادت في مصر.

ثم أجابه ابن العاص: "ذلك لأنكم أعجفتم أولادها". ويقصد أنكم أثقلت كاهل المصريين بالضرائب، فالنعجة تعطي طبعاً مزيداً من اللبن إذا منعت أبنائها من الرضاع. والعجيب في الأمر أن يرى إخلاصه الرسول صلى الله عليه وسلم وكذلك عمر بن الخطاب، ونفهم من هذا أن ابن العاص لم يعزل لأنه ضعيف أو غير مخلص ولكنه عزله الخليفة عثمان بن عفان "رضي الله عنهم" لأمر آخر كان هو أدى بها. وبعد هجوم الروم البحري واحتلالهم الإسكندرية ناداه الخليفة عثمان بن عفان وأعادته إلى مصر لكي يسترجع الإسكندرية فوافق إخلاصاً منه لقضية العرب فاسترجع الإسكندرية وأفلح في تدمير الروم والخريطة التالية تبين المهارات القيادية لعمرو بن العاص من دهاء والتخطيط الحربي في المعركة. وما أن انتهى من ذلك حتى عزله عثمان بن عفان وولى أخاه في الرضاة عبد الله بن أبي سرح للمرة الثانية.

في الواقع أن القائد المخلص دائماً يقابله عمل قيادي ناجح، الذي يقود بفن القيادي الذي يجمع بين الشدة والقوة والبطش والرحمة والتخطيط المتمركز حول الدافع القيادي، وفي اعتقادنا أن القائد عمرو بن العاص كان دافعه البعد الروحي في خدمة الإسلام والمسلمين لا حبا في أمور الدنياوية بل دافعه العمل في وجه الله وهذا ما زاده نجاحاً قيادياً مميذا المتمحور حول الإخلاص المبني على العلاقات الطيبة المألوفة مع الأشياء التي تحرك الناس أو قد نسميهم الأتباع نحو العمل لتحقيق المبتغى القيادي كموجه وكفاعل وكموثر، و نجد تطابق في هذا المعنى لدى المفكران "جون و جاردنر" حينما قالوا أن "الإخلاص القائد يحرك الأداء القيادي الإيجابي الذي يكون وراءه روح القيادة الناجحة والإلهام"¹³. وفي نفس السياق من الناحية النفسية الاجتماعية لا يمكن أن ينجح القائد إلا إذا كانت له صفة الإخلاص كدافع قيادي تحركه وتوجهه إلى تحقيق شئ ما. كما يرى عبد الحميد محمد الهاشمي أنها بمثابة طاقة كامنة مركبة تثيرنوعاً من التوتر الإنفعالي الذي لا يهدأ إلا بعد الإشباع وتحقيق أهداف القائد بإخلاص لجماعته والغاية

¹³ - جون و جاردنر، الموهبة والقيادة، 1989، ص. 209.

المنشودة¹⁴. و لأن من طبيعة الناس حب الإخلاص فالقائد الناجح لابد أن يكون كذلك، كما يرى نبيل محمد توفيق السمالوقي بأن "فهم سلوك الإنسان يجب أن نفترض وجود دوافع مخصصة للسلوك وتفسير طبيعة هذه الدوافع فكل سلوك مخلص يحقق دافع فعال يحرك ويوجه القائد نحو تحقيق الهدف المراد قضاؤه"¹⁵. وفي نفس الموضوع يرى مصطفى غالب أن الدوافع هي عبارة عن بواعث التي تنتج الإخلاص من خلال السلوك للوصول إلى غايات لتحقيق الأهداف¹⁶ نستخلص مما سلف بعض الصفات التي تعتبر من المزايا الجوهرية للقائد، و المقصود بالإخلاص هنا هو كما يلي:

1- إخلاص القائد إلى رؤسائه.

2- إخلاص القائد إلى مرعوسيه.

3- إخلاص القائد إلى أمته.

4- إخلاص القائد لقضية التي من أجلها يقود جنوده أو بلده.

وتجدر الإشارة في هذا السياق أنه يجب على القائد أن يقوم بدوره كما ينبغي، وأن لا يفسح مجالاً لعاطفته أو عقيدته أو منافعه الشخصية بالتأثير على واجبه القيادي.

(6) الصفات البدنية:

***العمر:** لقد اختلف المؤرخون في تاريخ الميلاد لإبن العاص وان كانوا قد اتفقوا على تواريخ وفاته في عيد الفطر من العام الثالث والأربعين للهجرة الموافق عام 664م. فمنهم من قال أنه عاش سبعين سنة ومنهم من قال أنه تجاوز المائة عام ولكن هناك اتفاق بأنه ولد قبل عمر بن الخطاب بسبع سنين ومات بعده بعشرين سنة.

وعلى هذا فقد سن عمرو بن العاص حين حضرته الوفاة قريبة من الثامنة والثمانين على أقل تقدير وأنه قاد معركة ذات السلاسل وانتصر فيها وهو في الخمسين من عمره وكان في معركة أجنادين في الواحدة والستين من عمره، وفي معركتين الإسكندرية وحصن بابل (بابلون) قد تجاوز الخامسة والستين.

ونستنتج ومن خلال العمر الطويل الذي عاشه أنه كانت حياته مثمرة بالأعمال الناجحة وهي :

* سن مكنته من الإحاطة بفنون الحرب وطبيعة البلاد.

* سن أعطته الخبرة والحكمة في التسيير وحسن التصرف.

¹⁴- عبد الحميد محمد الهاشمي، المرجع السابق، ص. 29.

¹⁵- نبيل محمد توفيق السمالوقي، الإسلام وقضايا علم النفس الحديث، ص. 88.

¹⁶- مصطفى غالب، في سبيل موسوعة نفسية، ص. 28.

* سن تعلم فيها القيادة وفنونها.

***الصحة:** لقد كان عمرو بن العاص ممثلاً في صحة والعافية ومن جملة أقوال التي وصفوه بها أنه: "أدعج أبلج وافر الهامة ربع أقرب إلى قصر القامة يخضب بالسواد". ومما يدل على أنه على لياقته البدنية وصحة جسميه هو احتفاظه بحضور ذهنه ومضاء عزمه إلى تلك السن العالية التي تجاوز بها قوم المائة ولم يحبط بها أحد إلى ما دون السبعين. كانت صحته البدنية الجيدة تمكنه من المغامرة والمبادرة وكأنه لم يزل في بادرة الشباب ومستهل العمر وريعان الصبا.

ومن الأدلة على قوه البدنية تماسه الكثير بقطعاته وذهابه إلى أعدائه للمفاوضة وأخذه الراية في المعركة اليرموك وقيامه بالمسيرات الطويلة في فتح مصر والتقدم إلى ليبيا في برقة وطرابلس واندفاعه في صفوف الأمامية واستخدام سيف بالقتال كما حصل بالإسكندرية، ورغبته في التقدم في شمال إفريقيا نحو تونس وأخيراً قيامه بتمثيل ذلك الدور الهائل في الحرب والسياسة في معركة صفين. ونفهم من كل هذه الأدوار التي قام بها أنه يتمتع باللياقة جيدة وصحة الهائلة، فلو كان ممن هدت عزمه الأيام ودب في جسمه الأقباء لما سطر ما سطر من مفاخر في سجل التاريخ. ونرى أن هذه اللياقة البدنية والصحة الجيدة مكنته، وقد أناف على الستين من عدة خبرات منها مايلي:

* فتح البلاد وقلب الدول بأساليب عسكرية وبالفتيات عالية جدا.

* الأعمال السياسية والعسكرية في غاية الدقة.

* البراعة والمهارة في الأسلوب القيادي الرفيع المستوى.

* القيادة الناجحة مما أتيح له التقدم صعدا في سلم المجد والولاية.

* البشاشة وافتتاح الأسارى

وهذه الصفات هي من أهم الميزات التي تجعل القائد محبوبا من رؤسائه ومرؤوسيه وتقربه إلى قلوب جنوده والشعب الذي يدير شؤونه. وبالعكس هذا فلو كان القائد مقطب الجبين مغلق الأسارى عبوسا دائم الانقباض لما وجد من يرجو له على الأقل دوام تلك الحال.

وقد نفهم من هذه الصفة في بشاشة عمرو ابن العاص وهدوئه في التعامل مع غيره بالبساطة من خلال تقاطيع وجهه وأساريره وما أنتج عنها بما يلي:

* جعلته محبوبا من أقرانه وجنوده.

* جعلته يملك قلوب الشعب والأتباع الذين قادهم وساسهم كأحسن ما تكون السياسة والإدارة.

* جعلته يظهر بذلك اللطف والدبلوماسية والظرف من خلال حلوة لسانه ولغته وأقواله ذات تأثير على تقاطيع وجهه وأساريره.

* **طريقته في إدارة المعارك:** لم يكن عمرو بن العاص من القادة الكلاسيكيين الذي يحاول تطبيق ما تعلم بحرفية تامة. ولم تكن طريقته في إدارة المعارك متشابهة على وتيرة واحدة. وإنما كان يبدل ويغير حسب طبيعة الأرض وقوة جيشه وقوة خصمه ونوع التجهيزات المتيسرة للطرفين وطبيعة تشكيل القطعات العسكرية للطرفين وماهية المناخ الذي تدور فيه المعركة صيفا أم شتاء ليلا أم نهارا، برا أم بحرا هذا مع أخذ لعامل معنويات جيشه وقادته بعين الاعتبار .

* **صفة القائد البارزة:** تظهر الصفة البارزة في هذا القائد البطل أنه اعتمد في جميع معاركه على ما يلي:

1 - المباغثة.

2- سرعة الحركة.

3- الحيلة.

4- الخدع والتضليل.

5- التجديد في الخطط وخلق المواقف الجديدة للعدو.

6- الأمن.

لقد ذكرنا كيف باغت هذا القائد الروم في أجنادين في فلسطين. فأصابهم بكارثة كبيرة قضت على أحلامهم. ولقد رأينا كيف كانت سرعة الحركة من أهم المبادئ التي إستمسك بها في فتح مصر، حتى أصبح الجيش الرومي في حيرة من أمره. فعمرو إذا يزحف بسرعة على بابل (بابلليون) لا يترك مجالا من الوقت لعدوه للتفكير، وما وجدناه من خلال دراستنا هذه في تاريخ العسكري لابن العاص ومن خلال فتوحه فطافح بأخبار الخدع والحيلة وفي التضليل العدو.

كما بينا سابقا بدرجة يندر أن شاهد الزمان قائدا برع في هذا المجال كما برع فيه بطلنا عمرو بن العاص حتى أصبح مضرب المثل ولقب "بأرطوبون العرب". أما خطته فكانت موسومة بطابع التجديد المستمر، فهو في فلسطين قد أطل الحصار على قيساريه وأجنادين والقدس ولكن في مصر لم يسمح بحصار الفرما. (وهي في التاريخ العربي الإسلامي تسمى الفرما وإسمها القديم بلوز "بيلوسيوم" ويسمى القبط برمون وتوجد الآن فرما على بعد خمسة وعشرون كلم شمال شرقي الإسماعيلية بمصر) بل إفتتحها عنوة رغم مناعة أسوارها، حيث كان في أمور الحرب يحمل خبرة يحلمون بها أعدائه، فهو يبذل جهدا في التفصي والاستطلاع المفصل الواسع حول كيفية الهجوم لتحقيق النجاح.

* **صفات القائد السياسية والإدارية:** وقد برز طابع التجديد في أعمال عمرو بن العاص الأخرى السياسية والإدارية وخصوصا في أساليبه الإدارية والعمرانية في مصر التي كان الهدف الأساسي منها

كسب الشعب بالانفتاح عليه، ولأن عملية كسب الناس يراها ابن العاص في عدة نقاط مهمة جدا كما نذكرها فيما يلي:

* بأن يخلق موارد جديدة له.

* بأن يكسب الشعب بتطبيق العدل.

* كسب الشعب بتنظيم أموره وأحوال معيشتة.

* كسب الشعب بفتح الترع ونظم خطوط المواصلات والري.

* كسب الشعب بربط البحر الأحمر بالنيل عبر ترعة مائية أو بما يسمى قناة السويس في مصر اليوم.

* لم يرهق الشعب بالضرائب ولم يتعنت بالأحكام.

* وفيما يتعلق بمبدأ الأمن فقد رأيناه في ذات السلاسل يسير ليلا والتخفي نهارا ومنع جيشه من إيقاد النار في ليال باردة وأمتنع عن المطاردة لكي لا يعرف عدوه قلة جيشه.

7. التقدم عمرو بن العاص لتحرير فلسطين:

تقدم جيش عمرو بن العاص السهمي و عدده أربعة آلاف مقاتل من سكان منطقة مكة المكرمة زاحفا على الطريق الذي يربط المدينة المنورة بالعقبة وكان عليه حسب وصايا الحركات الصادرة إليه من القائد العام للقوات المسلحة الخليفة الأول أبي بكر الصديق أن يدخل فلسطين من جنوبها، فعند وصوله العقبة عليه أن ينحرف يسارا ويتجه شمالا لتحرير فلسطين وتدمير.

القطعات البيزنطية فيها، وكانت وصية الخليفة أبي بكر الصديق هي "أتق الله في شرك وعلانيتك وأستحيه في خلواتك فإنه يراك في عملك...." بينما كانت وصايا للجيش الثاني الذي يقوده يزيد بن أبي سفيان على جناح الأيمن للجيش عمرو بن العاص نحو المدينة تبوك ثم دخول شرقي الأردن إلى المنطقة سواحل البحر الميت الشرقي وتحريرها.

أما الجيش الثالث الذي يقوده شرحبيل بن حسنة نحو شرقي الأردن لتحرير وتدمير الحاميات الرومية فيه، والجيش الرابع الذي يقوده أبو عبيدة عامر بن الجراح عليه التقدم نحو دمشق وحمص وتحريرهما وتدمير القطعات الرومية في المنطقة. وكانت أوامر القائد العام بأن تشكل هذه الجيوش مقاومة عسكرية شديدة، وفي هذه الحالة يتولى القيادة العامة القائد الذي تدور المعركة في قاطعه وإستنادا إلى ذلك الجميع كانوا بأمر عمرو بن العاص.

وكما لاحظ هرقل إبتعاد الجيوش العربية عن بعضها البعض، التي كانت خطة عسكرية رفيعة المستوى، وكان ذلك بقيادة الجيش الأول الذي يقوده عمرو بن العاص كأنه أختير من طرف القيادة

العامة لهذه المهمة الشاقة الجليّة وحملته مسؤولية غاية في الخطورة. كما أن هرقل كما مطمئنا كما يبدو إلى قوة تحصيناته في خطوطه الدفاعية في اليرموك لذلك قرر قطع مواصلات الجيوش الثلاثة المتبقية ومن ثم القيام بهجوم عام شامل عليها في اليرموك وبذلك ستكون الإبادة التامة للجيوش الأربعة العربية الإسلامية، كما توضحه الخريطة العسكرية في ميدان معركة اليرموك.

حيث إنحدر الجيش الرومي وتعداده مائة ألف مقاتل من طبرية نحو السهل الساحلي لكي ينفرد بجيش عمرو بن العاص، فلاحظ عمرو خطورة موقفه العسكري إذ أنه إبتعد كثيرا عن الجيوش الأخرى، كما لاحظ الأخطار الكبيرة المحيطة بالجيوش العربية الأخرى إذ ما تمكن هرقل من تدمير جيش عمرو لذلك سارع بطلب النجدة من الجيوش الأخرى.

وبتقدير موقف سريع إنحدرت الجيوش العربية عبر شرقي الأردن لتتجمع مع الجيش الأول "جيش عمرو بن العاص" لمواجهة الجيش الرومي الكثيف في فلسطين وكان قد أصبح تعداد الجيش العربي كله ثمانية آلاف مقاتل، ولما جائته الأخبار عن الروم فقال عمرو "لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ثم خاطب في الناس فقال: "أيها الناس أنا واياكم في هذا الأمر بالسواء فاستعينوا بالله على الأعداء وقاتلوا عن دينكم وشرعكم فمن قتل كان شهيدا ومن عاش كان سعيدا".

ودفع بقطعاته السائرة وكانت ألف فارس بقيادة عبد الله بن عمر ابن الخطاب فاصطدمت بقوة الروم السائرة أيضا فدارت معركة تصادفية أنتصرت فيها الخيالة العربية وأبادت قوة الروم السيارة، و كانت أعنف معركة شهدتها تاريخ الصراع العربي الرومي حتى ذلك الوقت أظهرت بجلاء عبقرية الداهية القائد عمرو بن العاص، فتوجه لتحرير فلسطين فأحتل كافة مدنها الواحدة بعد الأخرى ماعدا قيسارية، كما أن القدس أيلياء قد سدت أبوابها وتحصنت حاميتها خلف الأسوار المنيعة فأستعصت ولم تكن للعرب تجهيزات عسكرية ووسائل حربية قادرة على دك الحصون وإقتحامها، مما أضطر عمرو بن العاص إلى قبول طلب الرئيس الوحي للمدينة "البطريك" الصلح بشروط أولها وأهمها تسليم مفاتيح المدينة إلى الخليفة عمر بن الخطاب شخصيا... إلى آخر الحدث المشهور في مجيئ الخليفة منتقلا على بعير و ماشيا يقود بعير خادمه يوما وخادمه يقود بعيره في اليوم الثاني مناوية من المدينة المنورة حتى القدس وإستلامه المدينة واعطائه عهدا لسكانها بالأمان.

8. التقدم عمرو بن العاص لتحرير مصر:

لقد إقتنع القائد عمرو بن العاص السهمي بضرورة التقدم من فلسطين غربا نحو سيناء ودخول وادي النيل لتحريره من سيطرة الروم، لذلك كانت المشاورة في الأمر من طرف كل القادة مع عمرو بن العاص، حيث كانت هذه المناقشة بمثابة تجسيد معنى الشورى بين هؤلاء القادة وفي نفس الوقت كانت الطاعة

للقائد العام كاملة، حيث لا بد وأن يكون قد حصل على موافقة القائد العام للقوات المسلحة العربية وهو الخليفة عمر بن الخطاب "رضي الله عنهم" رغم أن هذا الأخير لم يكن مقتنعا بالأفكار قائده، لذلك كان مترددا على غزو مصر أو عدمه، ولكن عمرو بن العاص أقنع الجميع بحكمته القيادية.

ويبدو من ذلك أن الفضل في تحرير مصر ومن ثم ليبيا يعود إلى الحكمة العسكرية للقائد عمرو بن العاص كونه كان أكثر تفهما للمواقف العسكرية وأكثر حنكة فيها وأقدر على حل المعضلات العسكرية من الخليفة عمر بن الخطاب فذلك أمر معترف به للقائد السهمي، ويمكن أن نجد تفسيراً في هذا الموقف النفسي العسكري مطابقاً لنظرة المفكر في مؤلفه عبد العزيز بوتفليقة بين الموهبة والقيادة¹⁷ الذي يدعم هذا التفسير النفسي العسكري حيث يقول "بأن الموهبة القيادية هي من الحقائق البسيكولوجية التي يجب علينا أن نشير لها بدءاً من الإهتمام القيادي لمستقبل الجماعة التي يقودها القائد وصولاً نحو تحقيق الهدف الذي وجد من أجله، لكون أن نفسية القائد تكون مفعمة بالقدرة التخيلية والمستقبلية بدرجة عظيمة وإتقان بارع وبقدرة التخيل للأهداف بشكل سريع وناجح". وفي إعتقادي أن تقدير الموقف العسكري للقائد عمرو بن العاص وهيئة أركانه كان يشير إلى التخوف من الهجوم البيزنطي، وربما كان هذا العامل هو مبعث تخوف القائد العام "عمر بن الخطاب" من تقدم نحو مصر وقد تصبح مغامرة مقابل القلة المقاتلين الذين يمثلون جيش القائد عمرو بن العاص.

ومع هذا تقدم الجيش العربي بعد نجاحه في معركة بلبيس والقضاء على حاميتها نحو موقع القاهرة الحالية (بابلون)، لقد حاول عمرو بن العاص أن يظهر للعدو قوته لإضعاف معنويات الحامية الرومية، وقد تمكن عمرو من إحتلال أم دنين وبابل (بابلون).

ومع ذلك أرسل له القائد العام الخليفة عمر بن الخطاب خوفاً منه على الجي العربي إثنى عشر ألف مقاتل بقيادة البطل الزبير بن العوام، لكن لم تصل هذه النجدة إلى ميدان المعركة، وهنا برزت عبقرية القائد الداهية ابن العاص فماذا يعمل وجيشه قليل العدد أمام قوى الروم التي تتكاثر، وراح يستعمل البعد النفسي العسكري من رفع معنويات جنوده والقيام بغارة غير متوقعة تتحقق فيا المباغته الكاملة في الزمان والمكان والعدد، كالبغارة الخاطفة التي قام بها على الفيوم وكانت ناجحة إنبهر لها عدوه، ولقد حاول ثيودور القائد الروماني العام في بابلون من مختلف أنحاء مصر لتوجيه ضربة قاصمة للجيش العربي إلا أنه فشل في الخطة العسكرية، وتفوق عليه عمرو بن العاص إذ أنه خطط لذلك من ناحية الوقت وباغت العدو بغارته على الفيوم وكان قد حسب حساباً لذهنية الروم أسلوب قتال قائدهم ثيودور الضعيف، فتمكن القائد بن العاص من عبور الليل والإلتحاق بالنجدة في عين الشمس فتأمنت وحدة الجيش، وهنا بذات تظهر القيادة العسكرية لقائد عمرو بن العاص في أعلى مستويات من الدهاء العسكري.

¹⁷-قوراية أحمد، عبد العزيز بوتفليقة بين الموهبة والقيادة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2005، ص ص. 177-

إن القائد عمرو ابن العاص يعتبر من أدهى دهاة العرب. وهو الداهية الأول، قد خلد للعرب والإسلام ثلاثة أقطار هي من الوطن العربي في الصميم. ولو لم يعزل من طرف الخليفة الثالث عثمان بن عفان ولو سمح له لضاعف العدد في وقت قصير ولأنه قائدا ماهرا وسياسيا محنكا، وكان أكبر دليل على أنه أبرع القادة المسلمين في نظر الرسول الله "صلى الله عليه وسلم"، ولهذا كان عمرو فريدا في عصره نابغة في قومه ونابا من أنياب العرب وسهما من أسهم المسلمين وليثا من ليوثهم ودعامة من أقوى دعائمهم صادق العزيمة قوي الحجة فهو كفاء للقيام بعظائم الأمور وأهل لكسب أعلى مراتب قيادية ولا يوجد أحد من وصل إلى مرتبته عبر العصور في الفن القيادي.

ونرى اليوم أن أمتنا ملزمة لتعليم وتكوين في فنون القيادة لشباب الأمة الإسلامية حتى يدرك شباب أمتنا العربية في أقطار المحيطة بإسرائيل كيف كان أجدادنا وكيف هو حالنا اليوم فتصح المقارنة ويسهل المقياس في وقت نحن أحوج ما نكون فيه إلى المقارنة والمقياس. وليكون أيضا نموذجا عربيا إسلاميا حيا وأصيلا حول القيادة المثلى لا نفتدي من غيرنا والآخرين، ونحن نملك كنز في القيادة الناجحة وبطل يقتدى ويحتذى به لاسيما بعد الأحداث الرهيبة التي نعيشها في هذا القرن.

وفي هذه المحنة التي يمتحن بها العرب والمسلمون وأمام هذا التحدي الخطير يجب علينا التدبير وتتبع خطوات القيادة الناجحة والقائد الناجح فيها لنفهم ونحن أصحاب المآثر والأمجاد كيف كان الأجداد وكيف كانت قادتنا الأمجاد؟ ذلك غيظ من فيض عن عبقرية هذا البطل العربي الفذ أقدمها لعل في دراستها ما يخدم أمتنا الإسلامية وجيلها الحالي فإنني أشعر شعورا عميقا بحاجة هذه الأمة إلى أبنائها أن يكونوا مثل عمرو بن العاص وصحبه وحاجة جيوشنا إلى أمثال هذا البطل الداهية حتى إذ لم يكن أبناء الأمة مثلهم على الأقل فيتشبهوا بالقادة الأجداد.